بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تلعب المنهجية فى العلوم الاجتماعية دورا رئيسيا ليس فقط فى التمكين لتلك العلوم من أن تكون مرتكزة على أسس وقواعد من القوانين والنظريات التى تضعها فى مصاف العلوم الطبيعية ـ العملية والتجريبية ـ الاخرى ، وانما أيضا فى تمكين المجتمعات الانسانية من أن تعيد صياغة حياتها بشكل أكثر ضبطا وفهما ، الامر الذى يتيح لانسان تلك المجتمعات حياة أرحب خصوصا فى الدول النامية ـ أو السائرة فى طريق النمو ـ والتى تسعى بكل الجد والعلم ليس فقط نحو تعويض سنوات الحرمان الطويلة التى عاشتها لظروف خارجية أو داخلية كانت فى معظمها مفروضة عليها ، وانما تسعى تلك الدول لتذويب الفوارق الرهيبة بينها وبين الدول الاخرى الاكثر نموا أو الاكثر تقدما ٠

ويضاعف من اهمية الدور الذى تلعبه المنهجية فى العلوم الاجتماعية ، أن تلك العلوم تتعامل مع الجهاز البشرى سواء اكان ذلك الجهاز فردا ، جماعة أو مجتمعا ، مع ما تتصف به هذه الكيانات من تغير وغموض دائمين ، يمثلان باستمرار تحديا أمام علمية العلوم الاجتماعية وموضوعيتها ٠

صحيح أن المهمة صعبة وشاقة ، والنتائج ليست مجزية كتلك النتائج التى تنرزها العلوم الطبيعية او العملية ، لكن المنهجية قادرة على أن ترتقى

بمختلف العلوم الاجتماعية أو الانسانية الى مصاف العلوم الطبيعية ، سواء أكان ذلك بالامكانيات الذاتية للعلوم الاجتماعية ، أو من خلال استعارتها لكثير من فنون البحث ومناهجه من العلوم الطبيعية ، فضلا عن استفادة العلوم الاجتماعية من الكم الهائل الذى تزخر به العلوم التطبيقية من خلال التكنولوجيا ٠

والمأمول أن تتمكن مختلف العلوم الاجتماعية أو الانسانية من خلال مزجها ما بين تكنولوجيا العصر الحديثة وطرائق وأساليب البحث فى العلوم الطبيعية ، وبين انسانية الجهاز البشرى من أن تضيق الفارق ، ليس فقط بينها ـ كعلوم ـ وبين غيرها من العلوم الطبيعية والحيوية ، ولكن بين الدول والمجتمعات المتقدمة وبين تلك التى تبذل حبات الجهد والعرق من أجل غد أفضل وحياة أرحب ٠

وهذا الكتاب عن « منهجية العلوم الاجتماعية » محاولة متواضعة على الطريق الطويل والصعب ، علها تضيف ولو بصيصا من النور أمام باحثى العلوم الاجتماعية ودارسيها خلال سعيهم الدائب فى طريق العلم ودروبه الوعرة والشاقة والطويلة ٠

والله أسأل أن يهبنا جميعا السداد والتوفيق ٠

د٠ صلاح الفوال

القاهرة ـ العجوزة

١٩٨٢/٣/٢١

مقدمة حول معنى المنهجية ومقوماتها في العلوم الاجتماعية

- ماذا يعنى مفهوم المنهجية
- الارتباط بين الحقيقة والمنهج
- ما هو العلم
- كيف تتحقق المنهجية في العلوم الاجتماعية

مقـــدمة حول معنى المنهجيـــة ومقوماتها فى العلوم الاجتماعية

●

يشير مصطلح المنهجية سواء بالنسبة للعلوم الطبيعية أو الاجتماعية.. الى أن المنهجية تساوى العلمية ، وحتى لا نتهم باننا فسرنا الماء بعد الجهد بالمـاء .. نقول أن العلمية يقصد بها .. اتباع خطوات وشروط معينة فى سبيل تحقيق غايات العلم ، وهذه الخطوات والشـروط .. هى المنهجيـة ، المنهجية فى اختيار موضوعات الدراسة ، والمنهجية فى افتراض مفسرات لها ، والمنهجية فى التأكد من صحة تلك الافتراضات ، والمنهجية فى استخلاص الحقائق ، والمنهجية فى تفسيرها .. حتى تكون فى النهاية معارف منظمة.. وحتى تكون فى النهاية علمية .

والارتباط واضح بين الحقائق وبين الاسلوب أو المنهج الذى اتبع فى سبيل الحصول عليها ، وكلما كان ذلك المنهج بعيدا عن التأمل وقريبا من التحكم والضبط ، كلما أمكن وصفه بالعلمية أو المنهجية ، وللدرجة التى حدت بعدد من العلماء لأن يعتبروا العلم ان هو الا مجرد « عمليـة منهجيـة » ، وهدف تلك العملية المنهجية هو « ربط المعارف ومد نطاقها » ، أما موضوع العلم فهو « الحقيقة » باعتبارها « موضوعا مشتركا » ووسيلة العلم فى ذلك « المنهج العلمى الوضعى » باعتباره منهجا مشتركا بين الجميع أو باعتبار ما يجب أن يكون (١) .

كما يذهب عدد من العلماء الى اعتبار أن العلم هو فى رأيهم « منهج » أكثر منه مادة للبحث (٢) .

لكن ما هو العلم ؟

باختصار شديد العلم هو « مفهوم **ديناميى** يسعى الى معرفة وفهم وتفسير الظواهر أو الوقائع المبحوثة وفقا لمنهج علمى يتيح للباحثين قدرة أكثر سواء فى استنباط حقائق جديدة ، أو فى اعادة التأكد من صحة التفسيرات حول ما سبق بحثه من ظواهر أو وقائع مع عدم اغفال الدور الذى تلعبه مختلف تلك الظواهر أو الوقائع المبحوثة » ٠

ولما كانت العلوم الاجتماعية تكاد تقف مع العلوم الطبيعية والحيوية على نفس **المستوى** العلمى سواء من حيث أسس المعالجة أو المنهج المستخدم أو حتى وهى تشارك بعض فروع العلوم الحيوية مصاعبها خاصة فى مجال الضبط التجريبى كما سيتضح فيما بعد ، نقول لما كانت العلوم الاجتماعية والطبيعة تقفان على نفس المستوى فاننا **نعتقد** أن أصولهما المنهجية واحدة ٠

ثم كيف تتحقق منهجية العلوم الاجتماعية ؟!

تتحقق المنهجية للعلم طبيعيا كان أو انسانيا من خلال عدة سمات ومقومات سنذكرها هنا على النحو الآتى :

- ١ -

تحديد موقف العلوم الاجتماعية :

والموقف الذى نعنيه هنا ـ هو ٠٠ ماذا يقصد بالعلوم الاجتماعية ، وما هو موقعها بين العلوم الطبيعية ، ثم هل هناك امكانية لاستثمار ما تتوصل اليه من معارف سواء على مستوى النظرية أو التطبيق ؟!

- ٢ -

اتسامها بالتفكير العلمى الذى تسيره خطوات منهجية :

بمعنى ٠٠ هل العلوم الاجتماعية تتبع نفس خطوات التفكير العلمى التى تسلكها العلوم الطبيعية ، وما هى تلك الخطوات وما هى الغايات التى تسعى اليهـا ؟ !

- ٣ -

اتساقها مع وظائف العلم ومسلماته المنهجية :

بمعنى ٠٠ ما هى وظائف العلوم الاجتماعية وما هى مسلماتها المنهجية ؟ وما مدى مطابقتهـا للمفهوم المتعارف عليه للعـلم ولوظائفـه فى الوصف والتفسير والتنبؤ ؟ !

- ٤ -

سعى العلوم الاجتماعية نحو الموضوعية :

والموضوعية هى مشكلة المشـاكل ليس بالنسبة للعلوم الاجتماعيـة وحدها ، بل بالنسبة لكل العـلوم ، ترى ما هى تلك الموضوعيـة وما هى مقوماتها ، ثم كيف تتحقق للعلوم الاجتماعية خصوصا على ضوء كل ما سبق من سمات ومقومات للمنهجية ؟ !

- ٥ -

اعتمادها على الرياضيات والتجريب فضلا عن المنطق العقلى :

الرياضيـات هى لغة العصر ، والتجريب هو أداته النـاجعة لبلوغ غاياته ، فهل للعلوم الاجتماعية من ذلك نصيب ؟ ! ، ثم هل يمكن استخدام المنطق العقلى كبديل منهجى للتجريب فى البحوث العلمية ؟

- ٦ -

اصطناعها لمناهج للتفسير طبقا لأسس وقواعد معينة :

التفسير هو هدف العلوم جميعا بما فى ذلك العلوم الاجتماعية .. فما هى المناهج التفسيرية فى العلوم الاجتماعية وما مدى اختلافها أو اتفاقها فى ذلك مع العلوم الطبيعية ، ثم ما هى الأسس والقواعد التى تحكم العملية التفسيرية فى العلوم الاجتماعية ؟ !

- ٧ -

البحث ضمن موجهات وأطر خاصة :

قضية العلم للعلم أو العلم للمجتمع لازالت تشغل الكثير من الأذهان أو هى قضية متجددة وان كان صداها يعلو اليوم فى الكثير من البلدان النامية ، ترى كيف تسير البحوث ضمن اطار العلوم الاجتماعية وما هى الفلسفات والايديولوجيات والقيم التى توجهها ، ثم ما هى الانماط البحثية التى افرزتها كل تلك التيارات ضمن اطار العلوم الاجتماعية او الانسانية ؟ !

وبعد .. تلك كانت سمات أو مقومات المنهجية فى العلوم الاجتماعية كما نراها ، لكن يبقى سؤال قبل أن ننطلق خلال صفحات هذا الكتاب حول أسس تلك المنهجية ، والسؤال هو .. هل تلك السمات هى سمات خاصة بالعلوم الاجتماعية وحدها .. أم هى سمات تخص **العلم** أيا كان طبيعيا أو حيويا أو انسانيا ؟ !

والجواب عندى بغير تردد .. أن تلك السمات والمقومات .. هى سمة العلم وقدره ، باعتباره **معارف** منظمة تضم مختلف المناشط المجتمعية مهما اختلفت مجالات البحث فى تلك المناشط ، ولا يهم كثيرا أن يكون المبحوث خلية حيوانية أو نباتية أو حتى مجموعة عناصر كيميائية معينة ، أو سواء أكان المبحوث انسانا أو ثقافة أو مجتمعا ، أو حتى كان ذلك المبحوث تاريخ أمة أو مسيرة حضارة أو نشأة ثورة أو بروز دين أو ما شابه ذلك ..!!

***

المصـــــادر

١ ـ صاحب هذا التعريف هو كونت ، انظر :
A.A. Comte : Discours Sur L'Esprit Positif, Paris, P. 16.

٢ ـ دكتور عبد الباسط محمد حسن ـ أصول البحث الاجتماعي ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ ـ ص ١٦ ، وانظر أيضا :
K. Pearson : The Grammer of Science, 1911.

***